العلاقة بين إمارة آل رشيد والمنتفك في عهد الأمير عبدالعزيز بن رشيد ١٣١٥-١٣٢٤هـ/ ١٨٩٧-١٩٠٦م

تركي بن صالح سليمان الشنيفي
قسم التاريخ/ جامعة الملك سعود

ملخص البحث

تتناول هذه الدراسة العلاقة بين إمارة آل رشيد والمنتفك في عهد الأمير عبدالعزيز بن رشيد. وبما أن الدراسات الحديثة تركز على علاقته ببدو المنتفك، فإن هذه الدراسة ستتناول ذلك مع دراسة علاقته بالمنتفك – أهل الريف.

الكلمات المفتاحية: بن رشيد . سعدون . فالح.

توطئة:

كان لإمارة آل رشيد منذ تأسيسها علاقات وطيدة بالعراق. وبمرور الوقت توطدت هذه العلاقات على كافة الأصعدة، لا سيما بعد سيطرتها على نجد عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م. وكانت هذه الإمارة تعتمد على ولايتي بغداد والبصرة وتوابعهما (النجف – كربلاء – الزبير – الناصرية – الخميسية – السماوة) في تأمين حوائجها من السلع المختلفة[١]، كما أن بعض القبائل التابعة لها ومنها شمر –القبيلة التي ينحدر منها آل رشيد– كانت تتوغل في انتجاعها شمالاً وصولاً إلى أراضي لواء المنتفك[٢] التابع لولاية البصرة[٣].

---

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.UM41/122 ورقة (١) برقية من قائم مقام السماوة إلى والي بغداد مؤرخة في ٢٥ذي الحجة ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني تصنيف Y.A.HUS 464/59 ورقة (٢) برقية من والي البصرة إلى الصدر الأعظم مؤرخة في ٢٤ شوال ١٣٢١هـ؛ عبدالرحمن زيد السويداء: عقيلات الجبل (حائل، النادي الأدبي، ١٤١٦هـ)، ٤٧، ٨٥ .

(٢) الأرشيف العثماني : تصنيف BEO 168582 ورقة (١) برقية من الصدر الأعظم إلى واليا بغداد والبصرة مؤرخة في ٢٠ شوال ١٣٢١هـ.

(٣) سالنامة ولاية البصرة لعام ١٣١٨ هـ، ٩٧- ١١٣.

من ناحية أخرى، فقد كان لأمراء آل رشيد علاقات وثيقة ببعض القوى العربية المحلية في العراق العثماني. وفي عهد الأمير عبدالعزيز بن رشيد بالذات ظهر عامل جديد أثر في علاقته بهذه القوى يتمثل في المنزلة الرفيعة التي كانت له عند السلطان العثماني عبدالحميد الثاني (١٢٩٣- ١٣٢٧هـ/ ١٨٧٦- ١٩٠٩م)، الأمر الذي كان معروفاً في العراق على نطاق واسع[١].

أدت سياسة الدولة العثمانية في تقوية السلطة المركزية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر[٢]، وكذلك النزاعات بين السعدون -شيوخ المنتفك- إلى اضعافها وانقسامها[٣]، وبالتالي القضاء على إمارتهم عام ١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م[٤]. وبحلول أواخر القرن الثالث عشر الهجري/ الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي تزعم فالح باشا بن ناصر السعدون (ت: ١٩٠٨م) عشائر المنتفك الريفية، وعين متصرفاً على لواء المنتفك مرتين في الفترة ذاتها[٥]. أما مشيخة عشائر المنتفك البدوية فقد آلت إلى سعدون باشا بن منصور السعدون (ت: ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م) بعد وفاة والده في بغداد عام ١٣٠٤هـ /١٨٨٦م[٦].

أولاً: العلاقة مع بدو المنتفك:

من الملاحظ أنه لم يكن هناك أية خلاف بين ابن رشيد وسعدون في الأعوام الأولى الثلاثة من حكم الأول، وأن النزاع بينهما إندلع على نحو مفاجئ بفعل الظروف التي أحاطت بسعدون، وأهمها ثورته على الدولة العثمانية عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠١م. وبالتزامن مع ذلك

---

(١) مذكرات سليمان فيضي من رواد النهضة العربية في العراق، تحقيق باسل سليمان فيضي (بيروت، دار الساقي، ط٣، ١٩٩٨م)، ٣٩.

(٢) أوبنهايم: البدو، ترجمة محمود كبيبو (لندن، الوراق، ٢٠٠٤م)، ٦٠٣/٣-٦٠٤.

(٣) إبراهيم بن صالح بن عيسى: تاريخ، خزانة التواريخ النجدية، جمع عبدالله بن عبدالرحمن البسام، ١٣٨/٢٢-١٣٩، ١٤٣-١٤٤، ١٦٤.

(٤) حسين حسني: الأوضاع العامة في منطقة نجد، ترجمة سهيل صابان (الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات)، ١١٠؛ محمد خليفة النبهاني: التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، تحقيق عارف أحمد عبدالغني (دمشق، دار العراب، ٢٠١٤ م)، ٣٨٨.

(٥) النبهاني، التحفة، ٣٨٢، ٣٨٧.

(٦) المصدر نفسه، ٣٨٩.

تحالف سعدون مع الشيخ مبارك الصباح[١] (ت: ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م) تحت تأثير حاجة الأول للسلاح والمال[٢]، وهذا التحالف لا يخلو من النكاية بالدولة العثمانية على إعتبار أنهما يشتركان في العداء لها في هذه الآونة، بخلاف بن رشيد الموالي لها[٣]. وبعبارة أخرى، فإن سعدون كان يرى أن الحرب مع بن رشيد من شأنها تحريك قضية المنتفك، وتذكير الدولة العثمانية بحقوقهم المسلوبة.

وعلى أي حال، فقد نتج عن هذا التحالف مباغتة سعدون لشمر التابعة لابن رشيد على تل اللحم[٤]، وهزيمتها والاستيلاء منها على أموال طائلة، أو بالأحرى مغانم كبيرة، وذلك في منتصف عام ١٣١٨هـ/ أكتوبر ١٩٠٠م[٥].

كان الهجوم على شمر جزءًا من خطة الحرب العامة التي وضعها مبارك وحلفائه[٦]. لذا بدأ بدأ بن رشيد الحرب بمناورة عسكرية بارعة تظاهر فيها بالهجوم على الكويت[٧]، قبل أن يتمكن يتمكن من الانتصار على سعدون وحلفائه من قبيلة الظفير في المعركة التي جرت على مشارف الخميسية. وفي هذا الشأن أورد المؤرخ ابن عيسى ما نصه **"في ثاني رجب أخذ بن رشيد سعدون وابن حلاف، وابن ضويحي، وابن مانع، والمَعَاليمْ والعِصْلِبْ أخذهم على شريفة الحمادية**

---

(١) إبراهيم بن محمد القاضي: تاريخ القاضي، تحقيق فائز البدراني ومريم العتيبي (الكويت، مركز عبدالرحمن السديري الثقافي، ٢٠١٦م)، ٧٥؛ عبدالرحمن بن صالح البسام: نبذة تاريخية عن مدينة عنيزة، الخزانة النخدية، ٨٤/٥.

(٢) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.ASK169/97 ورقة (١) برقية من قائد الجيش السادس إلى رئيس كتاب السلطان مؤرخة في ٤ صفر ١٣١٩هـ.

(٣) موضي عبيد المطيري: سعدون شيخ المنتفك وعلاقته بالقوى المحيطة ١٣٠٨- ١٣٢٩هـ/ ١٨٩١ - ١٩١١م، رسالة ماجستير غير منشورة (الرياض، جامعة الملك سعود، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م)، ٦٦.

(٤) تل اللحم: موضع جنوب بلدة الخميسية .

(٥) ج. ج سلدانها: التاريخ السياسي للكويت في عهد مبارك، ترجمة ودراسة فتوح الخترش (الكويت، ذات السلاسل، ط٢، ١٩٩٠م)، ١٠٨؛ عبدالعزيز الرشيد: تاريخ الكويت (الكويت، دار قرطاس، ط٣، ١٩٩٩م)، ١٠٨ .

(٦) سلدانها: التاريخ، ١٠٨ .

(٧) القاضي: تاريخ، ٧٥؛ خليف صغير الشمري: المستودع و المستحضر في أسباب النزاع بين مبارك وآل صباح ويوسف آل ابراهيم ١٨٩٦-١٩٠٦م (دمشق، دار نينوى، ٢٠٠٨م)، ١٩٦ .

بالقرب من الخميسية"[١]. وثمة رواية أخرى توضح أن سعدون وحلفائه هُزِمُوا شر هزيمة، وأن أكثرهم فروا إلى نواحي الزبير، بعد أن استولى بن رشيد على **"جملة من أباعرهم ورِحْلَتهم وخيلهم وبعض الحِلَّة"**[٢]. وعلى الأرجح أن حادثة تكبيل ثلاثة من شيوخ الظفير بأمر من بن رشيد، وأخذهم معه إلى الخميسية[٣] جرت في أعقاب هذه المعركة. أما سعدون نفسه فقد أرغم على عبور الفرات والتقهقر إلى داخل العراق[٤].

أثناء إقامة بن رشيد في الخميسية[٥] شرع في مفاوضة الحكومة العثمانية، وكذلك قيادة الجيش السادس في بغداد حول تعديات سعدون ومبارك، وكانت شروط بن رشيد لوقف الحرب تتمثل في إستعادة المنهوبات التي تم الاستيلاء عليها في الغارات التي سبقت معركة الخميسية، وأن تتم التسوية على يد مسؤول عثماني غير والي البصرة محسن باشا[٦] الذي كان منحازاً إلى خصوم بن رشيد وبالأخص مبارك منذ بدء الحرب[٧].

أما أهم نتائج معركة الخميسية فهي تخلي بعض حلفاء سعدون من الظفير عنه، فقد عفى عنهم بن رشيد بسبب شفاعة سليمان الغملاس[٨]، ولم يشترك منهم مع سعدون في معركة

---

(١) ابن عيسى: تاريخ، ٢/٢٧٠. ابن حلاف هو صياح بن حلاف شيخ السِّعِيدْ إحدى عشائر الظفير وبن ضويحي هو علي عقيد مشهور والضويحي فرع من السويط شيوخ الظفير في حين أن العِصْلِبْ هو شيخ العْرَيْفْ إحدى عشائر الظفير. أما المعاليم فعشيرة أخرى من هذه القبيلة وظاهر الرواية يشي بأن بن مانع من شيوخها أيضاً. حول ما ذكر راجع، البسام: نبذة ٥/ ٨٤؛ بروس إنغام: قبيلة الظفير، ترجمة عطية بن كريم الظفيري (د.م، المترجم، ط٢، ١٩٩٥م)، ١٠٠، ١٠٢.

(٢) محمد بن صالح العسافي: تاريخ الزبير – مخطوط (جامعة الإمام محمد بن سعود، المكتبة المركزية، قسم المخطوطات، رقم ٩١٦٥) حوادث ١٣١٨هـ. الرحلة هي الإبل التي يحمل عليها لوازم الجيش وغيرها .أما الحلة فهي البيوت (بيوت الشعر).

(٣) حمد عبدالله آل خميس: الخميسية إمارة في بلاد الرافدين (عمان، دار الشردق، ٢٠٠٤م)، ١٤١.

(٤) سلدانها، التاريخ، ١٠٨؛ الشمري، ١٩٦.

(٥) العسافي: الزبير، حوادث عام ١٣١٨هـ.

(٦) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.ASK 69/41برقية من رئيس كتاب السلطان إلى بن رشيد مؤرخة في ١٢ رجب ١٣١٩هـ؛ سلدانها: التاريخ، ١١٠-١١٣.

(٧) تركي بن صالح الشنيفي: الصلات بين الدولة العثمانية وإمارة آل رشيد في عهد عبدالعزيز بن متعب ١٣١٥-١٣٢٤هـ/ ١٨٩٧-١٩٠٦م، رسالة ماجستير غير منشورة (الرياض، جامعة الملك سعود، ١٤٣٨هـ)، ١١٣-١١٤، ١١٦-١١٧.

(٨) العسافي: الزبير، حوادث عام ١٣١٨هـ؛ عبدالله بن إبراهيم الغملاس: تاريخ الزبير والبصرة مع إشارات إلى تاريخ الكويت والإحساء، تحقيق عمار عبدالسلام رؤوف (عمان، دار الخزامى، ط٢، ٢٠٠٧م)، ١٠٠، ١٠١. ويعد سليمان الغملاس من أبرز وجهاء مدينة الزبير، توفي بعد عام ١٣٣٩هـ. انظر الغملاس: تاريخ، ١٠١، ١٥٧.

الصريف سوى شيخان هما بن ضويحي وبن حلاف[١]. ولئن كانت الهزيمة في الخميسية قد جعلت سعدون في وضع خطير من الناحية العسكرية لا يمكنه من مواجهة بن رشيد، دون مساعدة من حليفه مبارك[٢]، فإنها وضعت حداً لسياسة الأخير التي اتسمت بالمكر والدهاء ومؤداها معاداة بن رشيد من وراء ستار، أي من خلال دعم خصومه من القبائل . ولهذا وذاك، انضم سعدون لحليفه مبارك في الحملة التي بدأت باستعراض للقوة عند الخميسية[٣]، وكانت معركة الصريف[٤] أكبر ما نتج عنها.

وعلى العكس مما يرد في الكثير من المصادر[٥]، فقد اشترك سعدون في الحملة على نجد منذ بدايتها، وذلك في أواخر شهر رجب ١٣١٨هـ/ نوفمبر ١٩٠٠م[٦]، وكان معه ثلاثة من أبنائه[٧]، وأخيه عبدالله وابنه حمود[٨]. ويتعذر تحديد عدد القوة التي تمكن سعدون من حشدها حشدها في الصريف لأن المصادر قلما تذكرها على حدة[٩]. ومع ذلك فإن المصادر تتفق على أن عدد الجيش ككل كان كبيراً[١٠]، وأن بدو المنتفك كانوا إحدى القوى الضاربة فيه[١]، وكلا

---

(١) البسام: نبذة، ٨٤/٥.

(٢) فيصل السمحان: معركة الصريف بين المصادر التاريخية والروايات الشفهية (الكويت، المؤلف، ط١، ٢٠٠٧م)، ٦٠ ؛ حسين خلف الشيخ خزعل: تاريخ الكويت السياسي (طهران، مكتبة أصفهان، ١٩٦٢م)، ٢/ ٣٥.

(٣) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRKUM 52/50 برقية من والي البصرة إلى رئيس كتاب السلطان مؤرخة في ٢١ رجب ١٣١٨هـ.

(٤) الصريف: موضع يقع شمال شرق بريدة على مسافة ٣٦ كلم.

(٥) ج.ج لوريمر: دليل الخليج – القسم الجغرافي، ترجمة مكتب الترجمة بديوان امير قطر (الدوحة، مطابع علي بن علي، د.ت) ؛ الرشيد: تاريخ، ٢٥٦ ؛ القاضي: تاريخ، ٨٠ ؛ البسام: نبذة، ٨٦/٥.

(٦) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.ASK 165/64 برقية من قائد الجيش السادس إلى رئيس كتاب السلطان مؤرخة في ٢٣ رجب ١٣١٨هـ.

(٧) خزعل: تاريخ، ٤٣/٢.

(٨) البسام: نبذة، ٨٦/٥ ؛ النبهاني: التحفة، ٣٩٢ ؛ خزعل، تاريخ، ٤٣/٢.

(٩) يقدر العبيد قوة سعدون في الصريف بخمسمائة (٥٠٠) رجل، وهذا لا يعدو عن تخرصات تجانب الصواب. محمد العلي العبيد: النجم اللامع للنوادر جامع- مخطوط، ٤١/١.

(١٠) سلدانها: التاريخ، ١١٩ ؛ البسام: نبذة، ٨٥/٥ -٨٦ ؛ الرشيد: تاريخ، ٢٥٦ .

الأمرين وجهان لعملة واحدة وهي أن عدد القوة التي اشتركت في الصريف تحت قيادة سعدون لا يستهان به. والجدير بالذكر أن بعض قبائل أدنى الفرات المنضوية في الأصل تحت تحالف المنتفك كالشريفات[٢] والجوارين[٣] وغيرهما- خاضت غمار معركة الصريف بقيادة سعدون شأنها شأن بدو المنتفك[٤].

أسفرت معركة الصريف التي جرت في السادس والعشرين من ذي القعدة ١٣١٨هـ / ١٧ مارس ١٩٠٠م[٥] عن هزيمة نكراء لمبارك وحلفائه[٦]، وقتل منهم عدداً كبيراً[٧]، ومنهم عبدالله السعدون وابنه حمود[٨]، وكانت إبل سعدون من المغانم التي استولى عليها بن رشيد[٩]، واضطر سعدون للتقهقر والانسحاب إلى الكويت في الوقت الذي سرت فيه شائعات كثيرة حول مقتله في الصريف، وتناقلتها الدوائر الرسمية العثمانية كما هو الحال بالنسبة لمبارك[١٠].

ويبدو أن ما واجهه سعدون من ويلات في معركتي الخميسية والصريف كان وراء عدوله عن سياسة المواجهة، لكنه مع ذلك لم يعدم الوسائل الكفيلة بإلحاق الضرر بابن رشيد. ففي

---

(١) رواية مسجلة لأحد شهود العيان وهو عبدالله بن فهيد المتلقم العجمي في اليوتيوب، إنتاج تلفزيون الكويت، برنامج صفحات من تاريخ الكويت، تقديم سيف الشملان؛ البسام: نبذة، ٨٦/٥.

(٢) رواية مسجلة للشيخ عبدالله بن جابر الصباح في اليوتوب، إنتاج تلفزيون الكويت، برنامج رجال من بلدنا، تقديم فهد الأحمد. كما أن خزعل ذكر إشتراك شيخ الشريفات عطب في الصريف تحت قيادة سعدون. خزعل: تاريخ، ٤٣/٢.

(٣) رواية الصباح. كما أن خبر إشتراك الجوارين في الصريف يرد ضمناً عند المتلقم الذي أسماهم بـ "أهل السعفة". رواية المتلقم. وهو اسم يشمل الجوارين والشريفات وعلى الأرجح قبائل أخرى من قبائل الفرات الأوسط.

(٤) لعل أوفى رواية في هذا الشأن هي رواية الصباح حيث يذكر إشتراك قبائل أخرى -غير الشريفات والجوارين- هي البدور والزياد وبني حسين -والصواب الحسينات- في الصريف تحت قيادة سعدون. رواية الصباح. كما أن الحجي (كاتب بن رشيد) وبن ناصر يذكران إشتراك حلفاء المنتفك دون تسميتهم. حسن بن محمد الحجي: صدى الحرب (مصر، مطبعة اللواء، ١٣٢٠هـ)، ٧؛ عبدالرحمن بن ناصر: عنوان السعد والمجد في ما استظرف من أخبار الحجاز ونجد- مخطوط، ٥٠/١.

(٥) سلدانها: التاريخ، ١٩١٩؛ الحجي: صدى، ٧؛ القاضي: تاريخ، ٨٠.

(٦) سلدانها: التاريخ، ١٢٠.

(٧) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.A.HUS 414/54 ورقة (١) برقية من والي البصرة إلى الصدر الأعظم مؤرخة في ١٠ ذي الحجة ١٣١٨هـ؛ سلدانها: التاريخ، ١٢٠.

(٨) السمحان: الصريف، ٧٥؛ البسام: نبذة، ٩٠؛ النبهاني: التحفة، ٣٩٢.

(٩) رواية المتلقم؛ عبدالله بن علي الداود: مخطوطة لشعراء الجبل وشعراء من نجد، جمع لافي الشريطي، ١/ ٥٥.

(١٠) الأرشيف العثماني، تصنيف BEO 123146 ورقة (١) برقية من الصدر الأعظم إلى والي البصرة مؤرخة في ٢٠ ذي الحجة ١٣١٨هـ.

مطلع عام ١٣١٩هـ/ منتصف ١٩٠١م هاجم سعدون وأخيه سليمان[١] وأنصارهما إحدى القوافل الكبيرة التابعة لنجد بالقرب من الزبير، وتمكنوا من الإستيلاء عليها[٢]. ويعزو قائد الجيش السادس فيضي باشا سبب هذا الهجوم إلى تحالف سعدون مع مبارك، ويستشهد في هذا الصدد بلجوء سعدون للكويت قبيل الهجوم، وتزويده من قبل مبارك بالسلاح والمال[٣]. ومن الملاحظ أن وجهة النظر هذه تتطابق مع وجهة نظر بن رشيد عن دوافع هذا الهجوم، أي دور مبارك في تأليب سعدون[٤].

بعد الهجوم على القافلة المذكورة أخذت الدولة العثمانية زمام المبادرة فحركت قواتها لمناجزة سعدون بقيادة المير لواء محمد فاضل باشا الداغستاني[٥]. وقد أبدت قوة "التعقب" هذه كفاءة عالية في تشديد الخناق على سعدون، كما يتضح من طلبه العفو من السلطان، بعد فترة وجيزة من بدء تحركها. وبمقتضى عفو السلطان سمح لسعدون بالإقامة في أي مكان ملائم له في ولاية البصرة مع اعطائه بعض الإمتيازات المالية، أي مرتب شهري[٦].

وبموازاة ذلك عملت الدولة العثمانية على الإصلاح بين بن رشيد وسعدون، بل إن الصلح المبرم بين الطرفين في منتصف عام ١٣١٩هـ/ صيف ١٩٠١م كان ثمرة للجهود التي بذلها المبعوث الخاص للسلطان مجيد أفندي[٧] وقائد الجيش السادس فيضي باشا[١]، واستمر هذا الصلح حتى نهاية عهد بن رشيد.

---

(١) سليمان بك بن منصور بن راشد السعدون الأخ الأكبر لسعدون. ويعد المترجم له من أبرز شيوخ المنتفك في العقدين الأول والثاني من القرن الرابع عشر الهجري. ولم أقف على تاريخ وفاته. الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.ASK 157/8 ورقة (١) برقية من قائد الجيش السادس إلى قائد الجيش مؤرخة في ٢ شعبان ١٣١٧هـ؛ النبهاني: التحفة، ٣٨٩؛ المطيري: سعدون، ٥٦- ٥٧.

(٢) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.ASK 169/97 ورقة (١).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.ASK173/48 برقية من قائد الجيش السادس إلى رئيس كتاب السلطان مؤرخة في ٩ جمادي الأولى ١٣١٩هـ.

(٥) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.ASK 171/24 خطاب من قائد الجيش مؤرخ في ١٦ ربيع الأول ١٣١٩هـ.

(٦) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.ASK172/116 برقية من قائد الجيش السادس إلى رئيس كتاب السلطان مؤرخة في ٢٩ ربيع الثاني ١٣١٩هـ.

(٧) المصدر نفسه.

وبحلول أواخر عام ١٣٢١هـ / أوائل ١٩٠٤م حدثت حادثتين متزامنتين كادتا أن تقوض الصلح بين بن رشيد وسعدون، وكان مبارك يقف وراء إحداها، حيث أوعز لإبن ضويحي بالهجوم على إحدى القوافل التابعة لابن رشيد[٢] بالقرب من بلدة الخميسية في ذي القعدة ١٣٢١هـ / فبراير ١٩٢٤م، وأسفر ذلك عن مقتل أربعة (٤) رجال من القافلة وإصابة ثمانية (٨) آخرين، علاوةً على اضطرار القافلة للنكوص عن وجهتها -نجد- والعودة إلى البلدة المذكورة[٣]. واللافت أن أعلى سلطة عسكرية في العراق وهي قيادة الجيش السادس زودت الحكومة العثمانية بمعلومات مغلوطة فنسبت هذا الهجوم إلى سعدون[٤]، رغم أنه أثار حفيظته، وقام في أعقابه بمهاجمة بن ضويحي[٥].

أما الحادثة الثانية فهي نتيجة للخلاف بين السلطات العثمانية المحلية في لواء المنتفك وبين سعدون، والذي سرعان ما أفضى إلى نزاع مسلح أسفر عن هزيمة القوة العثمانية المحلية، وإصابة قائدها في أواخر عام ١٣٢١هـ / أوائل ١٩٠٤م[٦]. ولذلك وضعت الدولة العثمانية يدها على أملاك سعدون الواسعة في لواء المنتفك[٧]، ثم حركت ضده قوة التعقب بقيادة المير لواء حامد

---

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.ASK 173/29 برقية من قائد الجيش السادس إلى رئيس كتاب السلطان مؤرخة في ٤ جمادي الأولى ١٣١٩هـ.

(٢) النبهاني: التحفة، ٣٩٦. ويلاحظ أن النبهاني يعد بن ضويحي تابعاً للشيخ مبارك في حين أنه لا يعدو عن حليف له، كما أنه يسميه نافع والصواب علي. ومع ذلك فان رواية النبهاني هذه تقوم أكبر اضطراب في المصادر الرسمية العثمانية، كما سيأتي في المتن.

(٣) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.MTV255/205 ورقة (١) برقية من قائد الجيش السادس إلى قائد الجيش مؤرخة في ٢٠ ذي القعدة ١٣٢١هـ .

(٤) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.MTV255/205 ورقة (١).

(٥) النبهاني : التحفة، ٣٩٦-٣٩٧ .

(٦) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.A.RES 124/81 ورقة (٢) برقية من بن رشيد إلى السلطان العثماني مؤرخة في ١١ ذي الحجة ١٣٢١هـ.

(٧) المصدر نفسه.

باشا[١]، واضطر سعدون في نهاية المطاف إلى ترك مركزه في الصحراء المحاذية للخميسية واللجوء عند بن رشيد في جِرَيْبِيعِيَّاتْ الطُّوَالْ[٢]، لكي يطلب بدوره من السلطان العفو عن سعدون[٣].

يثير موقف بن رشيد الاهتمام من حيث الشكل والمضمون. فمن حيث الشكل كتب للسلطان مباشرة، وبواسطة تلغراف من السماوة لقصر يلدز[٤]، طالباً العفو عن سعدون[٥]. أما أما من حيث المضمون فقد دفع بن رشيد ببراءة سعدون، وألقى باللائمة على القائد العثماني **"بخصوص حدوث الواقعة التي جرت بحق سعدون باشا وأصيب بها القول أغاسي.. والمومئ إليه (سعدون) برئ ولا جرى منه ما يوجب لما أجروه"**[٦]. كما طلب بن رشيد من السلطان إعادة أراضي سعدون، وزيادة مرتبه بمقدار ألف (١٠٠٠) قرش، والأمر على السلطات المحلية بوقف تحركها ضده، مع رجاء السلطان بأن يسارع في تنفيذ ذلك **"استرحم .. شموله (سعدون) بمراحمه (السلطان) والإحسان عليه بالعفو والمرحمة في أراضيه وإلى اتباعه من زيادتكم ألف قرش (تـ) ضم إلى معاشه السابق.. ودفع تعرضات المأمورين أعني (الـ) حكومة المحلية وتعجيل ما وجب عرضه"**[٧].

كانت مصلحة الدولة العثمانية وابن رشيد على حد سواء تقتضي إحتواء سعدون . فقد كان طلب بن رشيد العفو عن سعدون في الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية تعد العدة للتدخل عسكرياً في نجد إلى جانب بن رشيد ضد الملك عبدالعزيز. وعلى أي حال، فإن لابن رشيد الفضل في عفو السلطان عن سعدون هذه المرة، وتلبية جميع رغباته[٨].

---

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.MTV255/205 ورقة (١).

(٢) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.MTV 256 /103 ورقة (٢) خطاب من قائد الجيش مؤرخ في ١٤ ذي الحجة ١٣٢١هـ. جريبيعات ماء يقع شمال غرب حفر الباطن على مسافة ٨٥ كلم تقريباً والطوال إسم عام للمنطقة المحيطة بوادي الباطن والجريبيعات تقع في شماله، أو ما يعرف بطوال الظفير.

(٣) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.A.RES 124 /81 ورقة (٢).

(4) Gokhan Cetinsaya : Ottoman Administration Iraq,1890-1908,Routledge,u.s.a, 2006 .

(٥) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.A.RES 124/81 ورقة (٢).

(٦) المصدر نفسه.

(٧) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.A.RES 124/81 ورقة (٢) .

(٨) الأرشيف العثماني، Y.A.RES 124/81 ورقة (١) قرار مجلس الوكلاء مؤرخ في ١٧ ذي الحجة ١٣٢١هـ.

وعلى الرغم من ثورة سعدون على الدولة العثمانية عام ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م إلا أن علاقته بابن رشيد ظلت ودية، بل إن الدولة العثمانية سعت لإستغلال ذلك فطلبت منه السعي لإقناع سعدون بالركون إلى السلم، وهذا ما حدث بالفعل[١]. وعندما صدر عفو السلطان عن سعدون في أواخر العام نفسه وفشلت السلطات العثمانية المحلية بالبصرة في العثور على مكانه ؛ عهدت الحكومة العثمانية بهذه المهمة إلى بن رشيد[٢].

ثانيًا: العلاقة مع المنتفك- أهل الريف:

خاض بن رشيد حروباً عديدة منها الحرب مع الكويت وحلفائها، والتي بلغت ذروتها في معركة الصريف. وقبيل هذه المعركة سعى خصوم بن رشيد إلى نيل تأييد القبائل ذات الصولة والسطوة، وفي مقدمتها عشائر المنتفك فقام لذلك الملك عبدالعزيز بزيارة فالح. وفي هذا الشأن أورد الشرقي ما نصه **"كان مقدم المنتفك يوم ذاك الشيخ فالح السعدون وكان نازلاً بادية الكار.. وعندما هم عبدالعزيز (الملك عبدالعزيز) باستنفار المنتفك شد ركابه قاصداً فالح وإليك النبأ الذي قصه علي الشيخ ضاري الفهد السعدون.. لقد حدثني بشكل رائع عن شخصية عبدالعزيز السعود قائلاً: كانت مضارب الشيخ منتشرة في بادية الكار وفي ضحوة يوم .. تطلع علينا خمس ركائب، ولما دنت عرفنا مقدمها عبدالعزيز السعود فاستقبل بما يليق به وضربت له مضارب خاصة مزودة بما يلزم حسب عادة آل السعدون مع الضيف المحترم. وغب إقامته ثلاثاً بحفاوة وتجلة يحدس الشيخ فالح أنه جاء لاستنفار المنتفك وفزعتهم لاسترجاع الرياض، فدعاني للإعتذار منه وأرفقني بخمسة أكياس "مزاود" في كل مزودة ألف ليرة ذهبية وحمل بعير من الكسوة الفاخرة وخمس بنادق من النوع الجديد "مارتين" قائلاً لي قدمها إلى عبدالعزيز وقدم له إعتذاري.. فجئت عبدالعزيز وهو في مضربه وبيده محضرة ينكث الأرضى بها فقلت له.. يعتذر وهذه أقل عون للرفاق الذين معك، فما كان منه غير أن ضرب الأرض بخيزرانة قائلاً يارفاق:**

---

[١] الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.UM75/93 برقية من بن رشيد إلى قائد الجيش العثماني مؤرخة في ١٩ ربيع الأول ١٣٢٣هـ.

[٢] الأرشيف العثماني، تصنيف Y.A.HUS 493/129 ورقة (١) برقية من والي البصرة إلى الصدر الأعظم مؤرخة في ٥ شعبان ١٣٢٣هـ ؛ المصدر نفسه، ورقة (٢) خطاب من الصدر الأعظم مؤرخ في ٧ شعبان ١٣٢٣هـ.

الركائب. والتفت إلى قائلاً بلغ..(فالح) اني جئته ليوم من أيام العرب لا للأسمال والبدر وركب لفوره عائداً من حيث أتى وتركني وما معي"[١]. وفي هذا السياق يشار إلى أن بن رشيد كذلك أشار لموقف فالح المحايد في الصريف، بل وأشاد به[٢].

ويتضح من قصيدة العوني المشهورة الخلوج أن خصوم[٣] بن رشيد حاولوا بعد الصريف استغلال مقتل عبدالله السعدون وابنه فيها لصالحهم، وحث فالحاً على القتال إلى جانبهم بحجة أخذ الثأر فقد جاء فيها:

أَبَا إلِحـق أَنا بعض الشيـــيْب ملامه وتِكْرَمْ على شِينْ المَلامَه سْبَالَها
قِــلْ كَيــف عبدالله تَعَـدُّونْ وابنــه مِلْحِقْ قِصِيرَات السَّبَايا طْوَالَها
خَلَّي مِسَاعِيْر الصّـرِيف تُرُودِهُـــمْ والضّبْعَةَ العَرْجَاء تَنَادي عِيَالها
وْهُمْ يَزرْعُونْ الَحبْ مَا كنْ كَارُهُـمْ وَيْلاَهْ يَا عِيـْن تِزايَـد اهْمَالَهَـا[٤]

لكن فالحاً ظل متمسكاً بسياسة الحياد، ومحتفظاً في الوقت نفسه بعلاقات ودية مع بن رشيد.

كان لفالح أراضي واسعة في لواء المنتفق، ومنها شط الكار وتوابعه المسماة بالعجوز والطونيات والغفارية وأم الغنم، وكتبها بإسم ولده الذي توفي عن ولد وفي حياة أبيه، فآلت ملكيتها لابنه الذي توفي هو الآخر بعد حين، فأصبحت هذه الأراضي أملاكاً عامة بمقتضى قانون الأراضي العثماني (الطابو) الذي يحول دون وراثة الجد للحفيد. ولذلك طرحت هذه الأراضي للبيع في المزاد العلني، ورست على فالح الذي اشتراها بثلاثة آلف ومائة وعشرين

---

(١) علي الشرقي: موسوعة الشيخ علي الشرقي النثرية – الألواح التاريخية، القسم الأول، جمع وتحقيق موسى الكرباسي (بغداد، مطبعة العمال المركزية، ١٩٨٨م)، ١٩٨.

(٢) الأرشيف العثماني، تصنيف I.HUS102/54 ورقة (٣)، رسالة بن رشيد إلى السلطان مؤرخة في ١١ رجب ١٣٢٠هـ، انظر نص الرسالة كاملاً في الملحق (٢).

(٣) كان العوني في هذه الآونة على علاقة وطيدة بثلاثة أطراف معادية لابن رشيد هم مبارك و سعدون –اللذان امتدحهما في القصيدة ذاتها– وآل مهنا (أمراء بريدة). حول ما ذكر راجع، الذكير: العقود الدرية أو مطالع السعود – مخطوط، ١٥٦ – ١٥٧؛ فهد المارك: محمد العوني تاريخ جيل وحياة رجل، اعتنى بنشره ومراجعته محمد عبدالله المشوح (الرياض، دار الثلوثية، ٢٠١٢م)، ٦٧، ١٠٧، ١٤٩.

(٤) الذكير: العقود، ١٥٧ وما تحته خط قرائن على أن المخاطب بهذه الابيات هو فالح والمنتفك – أهل الريف.

(٣١٢٠) ليرة **"سلمها وقتها لصندوق طابو بغداد .. وصدرت عليها إرادة سنية بالمبيع وتسليم تلك القطع إليه بالقيمة المذكورة"**[١]. لكن السلطات العثمانية المحلية تلكأت في تسليم هذه الأراضي، وتعذر على فالح إستعادتها، رغم أنه راجع في ذلك الحكومة العثمانية عدة مرات[٢]. وبالتزامن مع ذلك قامت السلطات المحلية بمنع سقيا شط الكار عن عشائر المنتفك مما أثار حفيظتهم[٣]. ومن أجل حل هاتين المشكلتين طلب فالح باشا من بن رشيد التدخل عند الحكومة العثمانية.

كتب بن رشيد رسالة مهمة في هذا الشأن ابتدأها بالسلام على السلطان بعبارات ملؤها التضخيم والتفخيم، مع التذكير بما تقتضيه "الاخوة الإسلامية" أو بالأحرى سياسة الجامعة الإسلامية من الإخلاص والنصح له والمبادرة بـ **"إطفاء كل فتنة يهب سعيرها"**[٤]. وفي هذه الرسالة طالب بن رشيد بحل مشكلتي الأراضي والسقيا، لكي ينعم العراق بالأمن والإستقرار أو **"حتى يصبح جو العراق عراقاً"** على حد تعبيره[٥].

أَثار موقف الحكومة العثمانية عامةً وموقف السلطات العثمانية المحلية على وجة الخصوص الكثير من علامات الاستفهام بالنسبة لابن رشيد فهو لا يتناسب مع المنزلة الرفيعة للشيخ فالح عند العرب، وعلاوةً على ذلك أنه كان مخلصاً وموالياً للدولة العثمانية، فقال بن رشيد بهذا الصدد " **فما يسعني في هذا الأمر إلا كوني سلكت طريقاً سالماً راحةً لأفكار هؤلاء العشائر وخصوصا فالح باشا .. موجه اخلاصه للعرش .. حتى الآن ورجل مثل هذا صاحب قوة تصدع لامره العشائر تخيب آماله من جهة الدولة .. وإني اغار على الدولة لو أصبح هذا الباشا مغبوناً من جهة هذه المسئلة اليسيرة فضلاً عن كونها بالمشترى**"[٦].

---

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف 54/ I.HUS102 ورقة (٣).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) الأرشيف العثماني، تصنيف 54/ I.HUS102 ورقة (٣).

وبحسب بن رشيد فإن مشكلتي الأراضي ومنع السقيا هي بسبب موقف السلطات المحلية، وبمعزل عن السلطان والحكومة المركزية في اسطنبول، حيث قال "**ولحاجة في نفس الموكل لعهدتهم تسليم الأرض عرقلوا الإرادة .. وتوقفوا في التسليم، لا اقصد خدش شرفهم ولا اعلم قصدهم في التوقف عن التسليم وكما ولم يعلم منع ما شط الكار عن عشائر المنتفك سببه**"[١]. وعلى أي حال، فإن في ذلك إِشارة إلى حجم الفساد الذي استشرى في الدولة العثمانية في هذه الفترة، فضلاً عن أنها تبنت سياسة مؤداها الإستيلاء على أراضي المنتفك بالتدريج، منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر[٢].

ختم بن رشيد رسالته بالقول "**ولكن لما هو محتم علي من الإخلاص لذاتكم الملوكية قد مهدت فكرة (فالح) في طلب إرادة سنية من جلالتكم بتسليم قطع الأرض التي دفع ثمنها كما مر واطلاق مياه شط الكار فاطفاء لبركان الفتن اناشدكم الله يا جلالة أمير المؤمنين حباً في نشر السلم والراحة بين القبائل أن ترتق الفتق بإجابة طلبنا هذا لكي يعلم بعد اني صادق الوعد**"[٣]. وقد استجاب السلطان لطلب بن رشيد وأصدر إرادة بهذا الخصوص[٤]، مع أمر لقائد الجيش السادس في بغداد فيضي باشا بإجراء تحقيق حول الموضوع بصورة سرية[٥].

وعلى الرغم من أن هذه الرسالة كانت بخصوص إعادة سقيا شط الكار وأراضي فالح، إلا أن بعض عباراتها تدل على أنه تبنى موقفاً محايداً أيضاً من الحرب المحتدمة في نجد بين الملك عبدالعزيز وبن رشيد في الفترة (١٣١٩-١٣٢٤هـ/ ١٩٠٢-١٩٠٦م).

الخلاصة أن العلاقة بين إمارة آل رشيد والمنتفك -أهل الريف- في عهد الأمير عبدالعزيز بن رشيد لم تكن تقتصر على التجارة فحسب، وإنما كان له علاقة وطيدة بشيخهم فالح . أما علاقة

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) أوبنهايم: البدو، ٦٠٣/٣ -٦٠٤ ؛ عبدالله الفياض: مشكلة الأراضي في لواء المنتفك (بغداد، مطبعة سلمان الأعظمي، ١٩٥٦م)، ٢٨-٢٩، ٤٠، ٦٠ - ٦٣.

(٣) الأرشيف العثماني، تصنيف I.HUS 102/54 ورقة (٣).

(٤) الأرشيف العثماني، تصنيف I.HUS102/54 ورقة (١) خطاب من رئيس كتاب السلطان مؤرخ في ٥ ذي القعدة ١٣٢٠هـ.

(٥) الأرشيف العثماني، تصنيف I.HUS102/54 ورقة (٢) تهميش على غلاف الإضبارة بدون تاريخ.

بن رشيد ببدو المنتفك فقد كانت تتراوح بين العداء والوفاق . ففي الأعوام الأولى من حكمه لم يحدث ما يعكر صفو العلاقات بين الطرفين، لكن ثورة سعدون على الدولة العثمانية، وتحالفه مع مبارك عام ١٣١٨هـ - ١٩٠٠/١٩٠١م قادا إلى إندلاع النزاع مع بن رشيد . وتعد معركتي الخميسية والصريف أبرز ما نتج عنه، وفي كلتاهما كان النصر حليفاً له . أما الصلح المبرم بين الطرفين عام ١٣١٩هـ / ١٩٠١م فقد كان برعاية من الدولة العثمانية . ومع ذلك فإن بن رشيد وسعدون لم يكونا أقل رغبة منها في السلام. فقد حافظ كليهما على هذا الصلح، رغم محاولة مبارك تقويضه، وتوالي ثورات سعدون على الدولة العثمانية. وبعبارة أخرى، يعد هذا الصلح حدثاً مفصلياً وفي أعقابه تحسنت العلاقات بين الطرفين كثيراً، بدليل لجوء سعدون إلى بن رشيد -بعيد ثورته على الدولة العثمانية- والوساطة له عند السلطان عام ١٣٢١هـ/ ١٩٠٤م. وقد سعت الدولة العثمانية لإستغلال ذلك فطلبت من بن رشيد بعد عامين إقناع سعدون بالعدول عن ثورته.

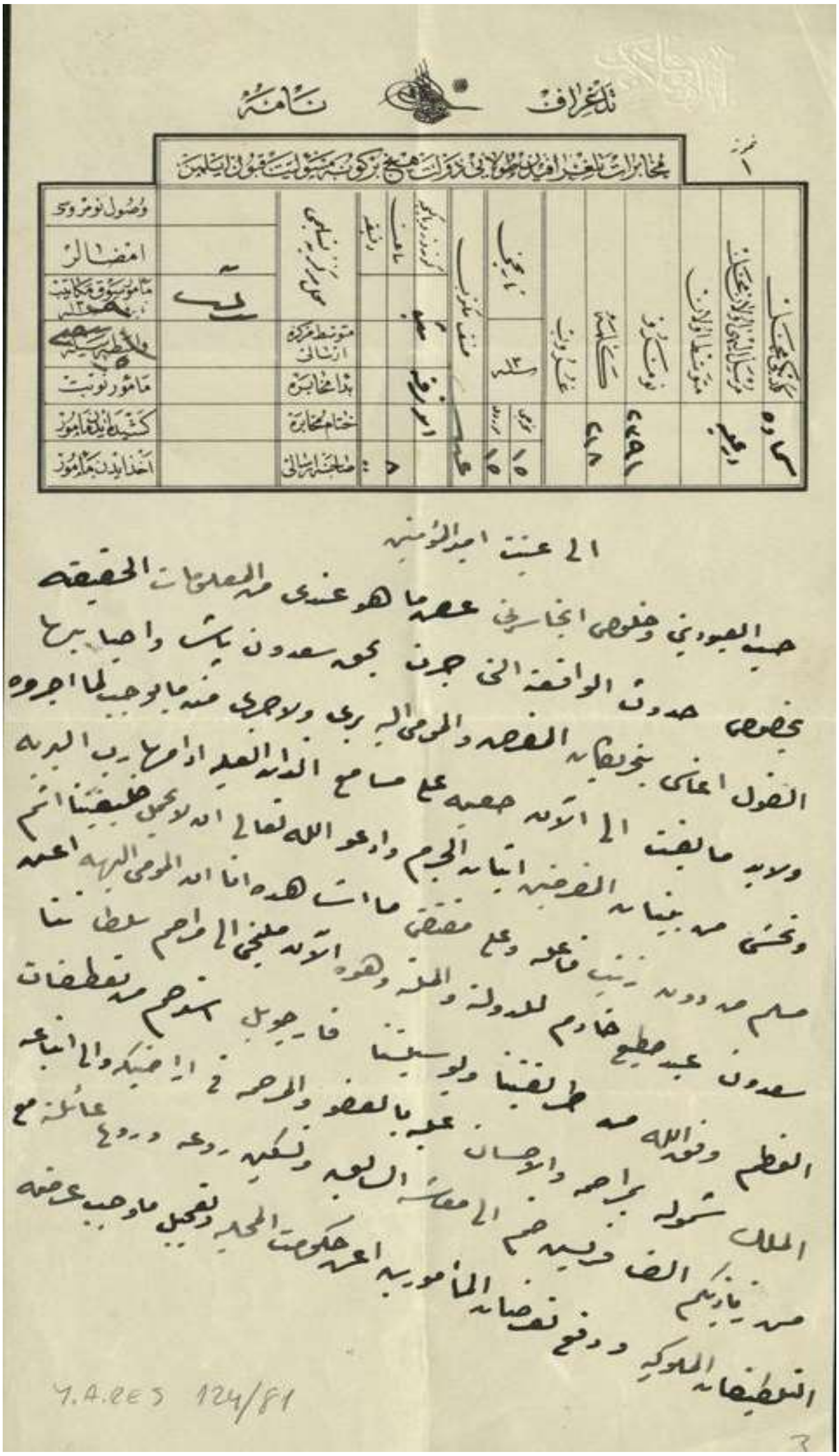
تلغراف نامه

الى عتبة امير المؤمنين

حسب العبودية وخلوص الجارحي عرضه ما هو عندي من المعلومات الحقيقه

بخصوص حدوث الواقعة التي جرت بحق سعدون باشا [illegible]

[illegible]

Y.A.RES 124/81

ملحق (١) برقية من بن رشيد للسلطان بشأن العفو عن سعدون

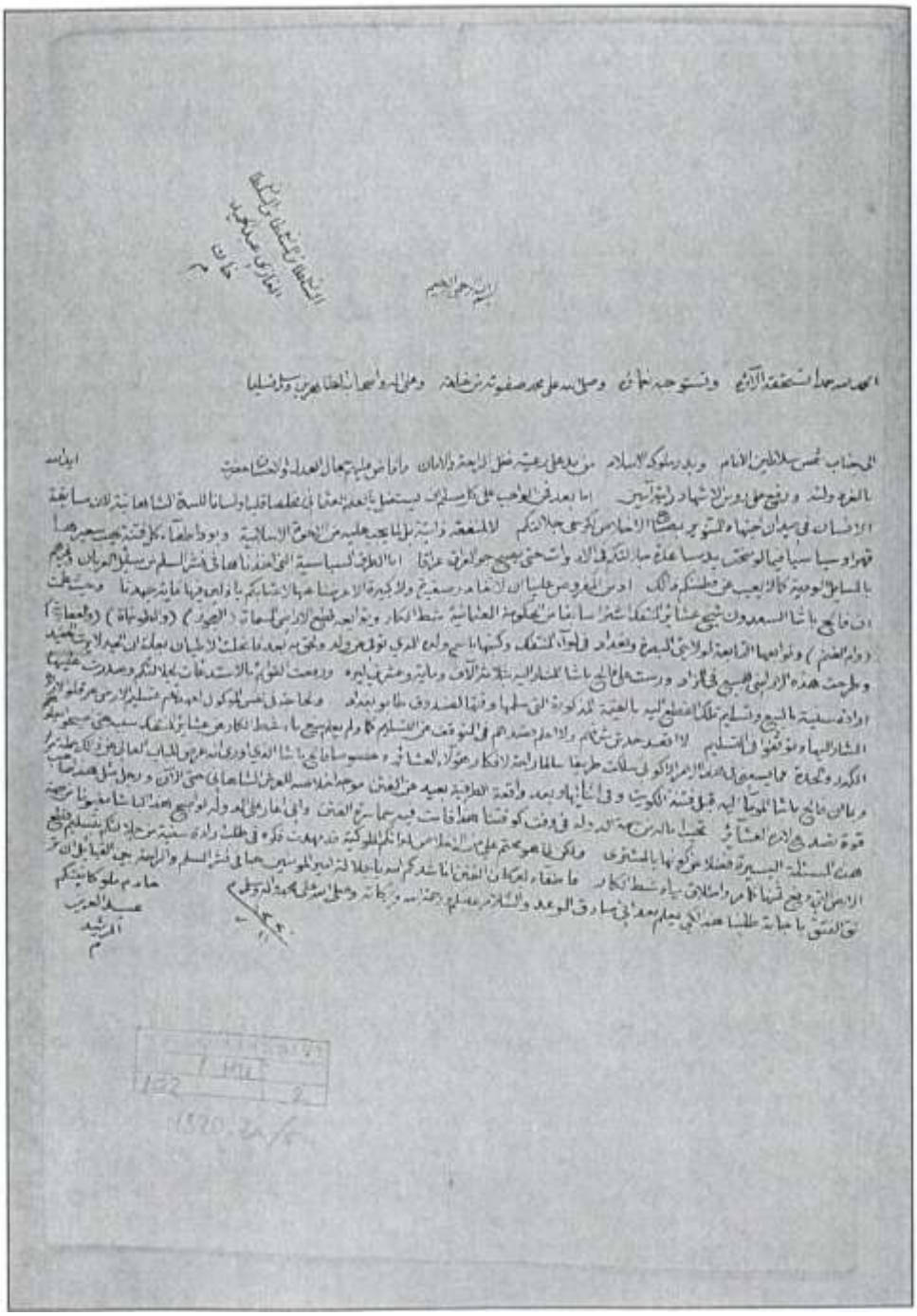

ملحق (٢) رسالة من بن رشيد للسلطان عن أراضي فالح باشا ومياه شط الكار